

الحب في كتابات غادة السمان

• بتول مشكين فام

جامعه الزهراء

خلاصة المقال

غادة - برهافة حسها و اتصالها بتابع الالهامي، و حساسيتها الفائقة، و بمشاعرها النبيلة، و عمق بصيرتها و نفاذها - حاولت في كتاباتها الابداعية و الصلحة ان تبعث الحب الحقيقي بمفهومه العام و الخاص في دواتنا - بطريقة تختلف عن طرق العرفاء - و ذلك لاسباب اشرت دراستنا الي خمسة منها، اكدت من خلالها الادبية على تحويل الحب الي اداة للنقاء، للتفاهم و الحوار، للبطء، للتحرير، للإصلاح و التبديل... في عالم مهدها اليوم بالأخطار؛ إذ فقد الايمان بكل القيم الروحية بما فيها الله و الدين و الحب. ألحت غادة على توطيد العلاقة الحقيقية بين الجنسين؛ اذرت فيها علاقة الصدق و الحنان و التساوي، و اعتبرتها رمزا للتلاحم و مصدرا للقوة و الطاقة، و تجسيدا حيا لسنن الطبيعة، و ترتب الحياة، و اعلنت ان العلاقة الحقيقية هذه بحاجة الي رجل مثالي و امرأة مثالية، يشكل الاول الحقيقة الجيدة في حياة المرأة، و تشكل هي جاضر الرجل و مستقبله. الرجل المثالي هو الخازن العذوية و الكبرياء، بطبيعته يكشف طيبه المرأة، و يراقبها في عالم اغترابها و تشردا. اما المرأة المثالية فهي تملك نصيبا و افرا من الثقافة و الوعي، و تحاول جهد الطاقة ان تستقل عن الرجل فكريا و اداريا. الا انها لاتنسى ان تفهمه و تتعاطف معه بحنان فائق، و تسامح، بأهيك عن الصدق و الكرامة و اتران العقل. ضمن البحث عن العلاقة بين الجنسين، تحدثت غادة عن «التحرر الجنسي» متأثرة أحيانا بالفكر الوجودي، ويسمون در بوفوار، و قناعتها الفكرية الخاصة، و ما تزودت به من التجارب في الغرب. وضعت غادة شروطا للتحرر الجنسي او ما أسمته - تبعا للمصطلح النسوي - «الثورة الجنسية الشاملة»، منها: ان يقترن بتحرر فكري و اجتماعي و ان يكون جزءا من تحرير الانسان العربي على جميع الاعددة، و ان تأتي هذه الثورة و ذاك التحرر على اساس التحدي و حرية الاختيار، و المسؤولية، و التناغم مع الفطرة الانسانية ضمن التركيز على الوعي التاريخي و الصحة، و دون الحث على الالغاء الكامل للتقاليد الشرقية. و نتج عن هذا المنهج البحث: اجتماعي - وصفي، و أحيانا يعيل الي النقد و الموازنة، و يضم كلمات أساسية تالية:

المصطلحات الرئيسية: الحب الانساني الشامل، الحب الحقيقي بين الجنسين، الحب المجازي، حب المملك، الحب الجسدي - الجنسي.

عشق در آثار غاده سمان

بتول مشكين فام

استاديار گروه زبان و ادبيات عرب، دانشگاه الزهراء

چکیده

غاده سمان در آثار ادبی و نوشته‌های خود در روزنامه‌ها، کوشیده است تا با احساس لطیف، اتصال به منبع الهام، حساسیت ویژه، احساسات ناب و بیش عمیق، مفهوم واقعی عشق را در دو جنبه عام و خاص آن در روح مخاطبانش برانگیزاند و البته در این راه شیوه‌ای متفاوت با عارفان دارد. این اهتمام ویژه به مفهوم عشق دلایلی دارد که در پژوهش حاضر به مواردی از آن اشاره شده است. وی تأکید می‌کند که عشق ابزاری برای تزکیه، تفاهم و گفت‌وگو، بخشش همه جانبه، آزادی، اصلاح و تغییر در دنیایی است که به دلیل فقدان ایمان به ارزش‌های معنوی نظیر خدا، دین و عشق مورد محاصره انواع تهدیدها قرار گرفته است. غاده بر تحکیم روابط واقعی برخاسته از انسانی، عاطفه و تساوی میان زن و مرد اصرار دارد و این را نماد پیوند و منبع قدرت می‌داند. تجسم عینی از سنت طبیعت و استلزامی زندگی؛ به اعتقاد وی این چنین رابطهای نیازمند مرد و زنی ایده‌آل است. به گونه‌ای که مرد یگانه حقیقت زندگی زن باشد و زن شالوده حال و آینده زندگی مرد را تشکیل دهد. مرد آرمانی که هم لطیف است و هم مقتدر، باکی وجود زن را کشف می‌کند و باری‌گر او در دنیای سرگشته‌گی‌ها و سرگردانی‌هاست و زن آرمانی هموست که با برخورداری سز شمار از فرهنگ و آگاهی می‌کوشد تا در عین حالی که به لحاظ فکری و عملی مستقل از مرد است، با دلسوزی و گذشت توأم با صدق، کرامت و توازن در اندیشه با مرد همفکری و همراهی عاطفی داشته باشد. غاده سمان در رابطه میان زن و مرد گاهی به تأثیر از اندیشه اگزیستانسیالیست‌ها و نیز سیمون دوبووار و با باورهای خاص خود و تجربیاتی که از زندگی در غرب به دست آورده، به «آزادی جنسی» اشاره می‌کند، اما او برای این اصطلاح که به پیروی از فمینیست‌ها آن را «انقلاب فرابگیر جنسی» می‌نامد، شروطی را قائل است؛ از جمله آن که بایستی با آزادی فکری و اجتماعی همراه بوده، بخشی از آزادی همه جانبه اتحاد جامعه عرب (اعم از زن و مرد) باشد. این انقلاب و آن آزادی مبتنی بر چالش میان آزادی اختیار و مسئولیت و هماهنگی با سرشت آدمی است، افزون بر آن که بر آگاهی تاریخی و بیباری تکیه می‌کند بدون آن که خواستار در شکستن کامل سنت‌های شرقی باشد.

روش پژوهش: اجتماعی - توصیفی با رویکردی به نقد و موازنه.

کلیدواژه‌ها: عشق فرابگیر انسانی، عشق واقعی میان زن و مرد، عشق مجازی، عشق انحصارطلبانه، عشق جنسی، جسمانی.

المقدمة

«الحب» قضية انسانية، غيبية، جمالية لفتت أنظار العرفاء، و استقطبت اهتمام الادباء؛ فخصّصوا لها مساحة شاسعة من كتاباتهم و فنههم الابداعي؛ اذ رأوا أن «الحب» يشدّ الانسان الى كل مافي الكون من جميل؛ ينطلق منه الى الجمال المطلق، الى الله؛ فكل جميل مظهر من مظاهر جماله تعالى و من تجلياته في الوجود. و الأديب بابداعه و رهافة حسه، و اتضاله المستمر بالنبع الالهامي، ينهض بما نهض به الانبياء من شدّة البشرية نحو الجمال و الكمال المطلق...

على قضية «الحب»، الخطيرة هذه سلّطت الادبية عادة السمان^١ الضوء، و ركزت كثيراً في مقابلاتها الصحفية، و ابداعها القصصي و الشعري.

غادة - بعشقها للكتابة و الابداعية و بشعورها المرهف الملمه، و حساسيتها الفائقة، و غليان كيانها بالمشاعر الانسانية - سعت لتبعث «الحب» في ذوات من حولها، و تدفع بالمتلقّي نحو الجمال، و المحبة الانسانية الشاملة، و تعيد بـ «الحب» خلق الانسان من جديد، و تحوّل هذه الشحنة العاطفية الجبّارة الى أداة تناضل بها ضد الموت، أداة تحملها للإصلاح، و تجعلها محرّكاً أساسياً للعطاء، للعلم، للفن و الكتابة. و تنقّي البشرية؛ و تدأوى بها خيبتها، فتحرّرها مما لحقها من المفاهيم المشوهة، و كل ما يعيق سبيل طاقاتها، و تفجيرها.

أرادت غادة أن تمدّ «الحب» جسراً بين الانسان و ما ينشده من الكمال و الحقيقة، و تزيل به الحواجز النفسية التي تحجب عنه الحوار و التفاهم المضى...

هذه الأفكار الفاحصة - العميقة و ما طرحته غادة في «الحب» المجازي و الحقيقي بفرعيه «الانساني الشامل، و الخاص بالجنسين» حثت الباحثة على استقراء كتابات غادة^٢ ضمن منهج وصفي - اجتماعي في جوانب، و نقدي مقارنة، و موازني في جوانب اخرى

١ - غادة السمان من مواليد ١٩٤٢ بسورية، تعيش حالياً في فرنسا. شاعرة، ناقدة، قاصة، روائية، صحافية... أصدرت ما يناهز «٢٨» كتاباً و ديواناً في الابداع القصصي و الشعري... و مقابلات صحفية و دراسات نقدية.

٢ - من هذه الكتابات: (الف) قصص غادة: «عيناك قدرى»، «ليل الغرباء»، «لابحر في بيروت»، «رحيل المرافئ القديمة» و رواية «ليلة المليار». ب) المجموعات الشعرية: «الحب من الوريد الى الوريد»، «الابداع لحظة حب»، «أشهد عكس الريح»، ج) المقابلات الصحفية: «القبيلة تستجوب القتيلة»، «البحر يحاكم سمكة»، «تسكع داخل جرح»، «صفارة أنداز داخل رأسي»، «امرأة عربية وحرّة»، «محاكمة حب».

يقارن في قضايا الجنس بين رؤية غادة و سيمون دوبوفوار مقارنة سريعة و يوازن عابراً بين رؤية الادبية و ما يطرحه العرفاء من المفاهيم و المصطلحات في «الحب» و ذلك للرد على ما يأتي من الأسئلة:

- ١ - ماهي ضرورة الدعوة الى «الحب» لدى غادة؟
 - ٢ - ماهي المصادر التي اقتبست منها الادبية فكرتها في «الحب»؟
 - ٣ - ماهي المستلزمات الضرورية لاقامة علاقة حب حقيقية حسب رأى الادبية؟
 - ٤ - لماذا و طُفّت غادة «الجنس» في ابداعها؟
 - ٥ - هل كانت غادة حيادية أو موضوعية في موقفها من الجنسين؟
- حاول البحث أن يعتمد على مؤلفات الادبية، و لاسيما مقابلاتها الصحفية، و أن لا يدخر جهداً في تتبع ما كتبه عنها الباحثون العرب و المستشرقون^٣؛ و ان عازت دراساتهم الاستقراء الشامل و الاستنباط العلمي احيانا كثيرة. على أمل ان تكون اطروحات «غادة» في الحب المجازي فنطرة نحو الحقيقة؛ فالمجاز فنطرتها. و على أمل أن يصبح «الحب» أداة لتحطيم شرنقة ذاتياتنا الضيقة للانطلاق نحو «المطلق» أداة للتبديل في عالم نسي «الحب»، و تفرغ للفساد و الحرب و القتل و التدمير...

الحب و صنوفه

اتفقت الدراسات المتخصصة في «العرفان و التصوف» (ستارى ١٣١٠: ١٠٤) على أن تصنف الحب صنفين. صنف حقيقي، يطلق على علاقة الحب المتبادلة، الدائمة بين الخالق و المخلوق، و آخر مجازي يقنى و يزول بقاء أو وصال بين الحبيب و المحبوب، يجمع بين «الحب البهيمي - الطيني»^٤ (آذرشب ١٣٨٣: ٣١) أو ما يسمى بـ «الغريزي» و الحب الانساني الذي يضم بدوره «الحب الطبيعي» و «الروحي».

٣ - من هذه الدراسات: «التنمرد والالتزام في أدب غادة السمان» لباولاي كابوا، «قضايا عربية في أدب غادة السمان» لحنان عواد، «جماليات المغامرة الروائية لدى غادة» لماجدة حمود، «الجنس في أدب غادة السمان» لوفيق غريزي، «تحرر المرأة عبر اعمال سيمون دو بوفوار و غادة السمان» لنجلاء نسيب الاختيار. «غادة السمان، رحلة في اعمالها غير الكاملة» لعبد اللطيف الأرنؤوط.

٤ - سُمي بالبهيمي - الطيني؛ لأن المحب يحصر حبه في الغريزة الجنسية و ما يلامس الجانب البهيمي أو الطيني بالتعبير القرآني للكائن الحيواني، مما أهله الجانب الروحي المتسامي منه، الذي عبّر عنه القرآن بالروح الالهية.

في «الحب الطبيعي» تتجلى رغبة مشتركة بين الحيوان و الانسان لاستلاب الجنس الاخر، و تملكه. و في «الحب الروحي»، يتجلى عشق الانسان لمظاهر الخالق في الكون، و تتساوى فيه - على أساس تعريف آخر لهذا الحب - رغبتان، رغبة الحبيب، و رغبة المحبوب، فلاسلب و لاستلاب، و لاميل الى تملك و اخضاع. فالمحب - كما يقول العرفاء - يحب المحبوب لمحبوبه و لنفسه (ستارى ١٣١٠: ١٢٠).

اما غادة السمان، فانها تحاول أن تنهج طريقة خاصة؛ تنفرد بها في بيان اشكال الحب و انواعه، و استخدام مصطلحاته و مفاهيمه، و هي طريقة تختلف عما اتفق عليه العرفاء في تصنيف الحب.

يمكن للدارس و الباحث في كتابات الادبية و مقابلاتها الصحفية ان يكتشف صنوف «الحب» و انواعه الصنف الاول تراه غادة حقيقياً و الاخر مجازياً. اما الاول فانه يضم ما يأتي:

الف - الحب الانساني الشامل «أو ما يمكن ادراجه ضمن الحب الروحي»

تفضل العرب تسمية هذا الحب بـ «المحبة» لارتباط عبارة «الحب» لديهم بالعقد الجنسية (السمان ١٩٨١: ١٩٢). و قد اشارت غادة الى هذه المسألة في مجموعتها الشعرية

«الحب من الوريد الى الوريد» ضمن مقطوعة شعرية تحت عنوان «أحبك»:

لأستطيع أن أقول لك:

«أحبك»

فقد شاهدت هذه الكلمة

تطارده على الأرصفة كالغواني...

و تجلده في الساحات العامة، كالغايا

و تطرد من المدن

كمرضى الجذام...

لأستطيع أن أقول لك:

«أحبك»

فقد سمعت هذه الكلمة

تلفظ في الحانات

مع هذه السكارى

و حين تهرب كلمة «أحبك» الى الشوارع

يطاردها الناس و يرمونها بالحصى

ثم يقتادونها الى مصح علقى...

و فى مجموعتها «الأيدية لحظة حب» تقول الكاتبة^٥:

من جديد نعيد الإعتبار الى كلمة: «أحبك»... بعدما تلوثت طويلاً،

ومضغوها كاللبان و «الشيككتس»، و عمّروها و باعوها فى أسواق الرياء،

و غطّوها بالأقنعة و رموا بها ليلاً فى براميل القمامة كأطفال الخطيئة.

الحب بالمفهوم الإنسانى الشامل عند غادة هو العشق لقضية، و العشق لفكرة و العشق للاله الحاضر فى كل ذرات الكون (السمان ١٩٨١: ٣٢٦)، و ليس حصراً للعواطف فوق رقعة جسد الحبيبة، بل هو موقف ايجابى، شامل من الوجود، و هو شعاع من العطاء، يلف كل ما تقع عليه العين من بشر و أرض (المرجع السابق ١٩٩٥ الف: ٨٨ - ١٨٠) و قضايا. تؤكد غادة الحب الانسانى الشامل هذا، و لا ترغب أن تنظر الى الحب بمفهومه الضيق، أى بمفهوم العلاقة بين المرأة و الرجل فتقول (المرجع السابق ١٩٩٥ الف: ٨٧؛ ١٩٩٢ ب: ٢٠٣):

«حينما أقول «الخب» لأعنيه بالمعنى الضيق، بل بالمعنى الشاسع للكلمة،

فالسياسة فى نظرى مثلاً هى فن حب الجماهير... و المقاومة فعل حب

نحو المجتمع... و الثائر عاشق كبير لشعبه، عاشق للحقيقة و للقيم الانسانية،

كالعدالة و الحق و الخير و الحرية و المساواة. و تحركات الثورى الحقيقى،

هى فعل حب، انه يريد غسل البشاعة عن وجه العالم، و إزالة استغلال

الانسان للانسان، و اللاعدالة، و الظلم الذى ترزح الجماهير تحته و ما

يحول بين الابتسامة و وجوه الأطفال و الكادحين».

ترى غادة ان الحب هو الباقي فى زمن إعدام العاصفير و الأطفال و الفراشات و النجوم، فتشهد بالمحبة على زمن عدوانى، يعادى القلب و تشهد أيضاً بالمحبة على كوكب يتحرك فى مدارات الكراهية، و تحتذى بالحب من عالم متوحش أضحي نكران الجميل فيه يمارس بفخر.

٥ - راجع مقطوعتها «تملة بالربيع أم يحبك».

تحتمی به من الزلازل و الأوبئة المسلحة و ميليشيات الجراد و الغربية و التلوث و متفجرات الايديولوجيات المنطفئة، تحتمی عادة بنجوم الحب من خرب النجوم، و من زمن فقد رشده واستل سيف الشعارات و كسر غمد العقل (المرجع السابق: ١٩٩٢ الف: ٢١ - ٢٢ و ١٣٧).

عادة تعتبر هذا الحب هو المحرك الأساسي للكتابة و العطاء. وبدونه تأتي الكلمة فارغة، جافة لاروح فيها. و تعتقد ان الكاتب يموت حينما يموت في داخله ذلك الضياء الحاد الذي يخترقه أحياناً مثل أشعة «لايزر» مخلقاً في الروح موجات من النبض و التوق و الرعشات الشفافة الكاوية، فتسمى «الأبجدية» «الحب الأكبر». هذا الحب الذي لا يتحقق إلا بالكتابة و لاخلاص منه ألاً بالموت (المرجع السابق: ١٩٨١: ٢٥٢؛ ١٩٩٢ ب: ٢٢٥).

الحب الحقيقي الشامل عند الكاتبة، دواء الخيبات كلها، يحرر الانسان من الخوف والظلمة، هو كطوفان نوح يغسل الانسان و يعيده نقياً حقيقياً، نظيفاً كما لم يكن.

الحب الشامل في رأيها هو الولادة الثانية للإنسان، و اذا كان لاختيار له، في ولادته الاولى، فانه يستطيع الى حد بعيد ان يتحكم في ولادته الثانية. هذا الحب يفجر طاقات الانسان على الالمام بهذا الكون بصورة أكثر كثافة. يرفع درجة الوعي لديه بما يحيط به، يخرج به الى التوهج، الى الشمس، الى روعة الكون و الاستغراق فيه. هذا الحب كشاف في ذهايز النفس البشرية و معميات أسرار الوجود فيحرر هذه النفس مما لحق بها من مفاهيم تشوه إنسانيتها و تعيق تفجير طاقاتها (المرجع السابق: ١٩٩٥ الف: ١٤٠ - ٨١٢؛ ١٩٨١: ٢٦ - ٣٣٩؛ ١٩٩٢ ب: ٣٨).

و على هذا الاساس تنتقد عادة بشدة الأفلام المصرية و اللبنانية و أكثر الأغاني العربية، و تراها هروباً من الحياة؛ إذ انها تكشف عن نفسية انهزامية هاربة من مسؤوليتها السياسية و واجباتها القومية، و تعبر عن استراتيجية منحرفة في مواجهة النزاع الطبقي. كما ترى في «الحب من أول نظرة» أيضاً موقفاً هروبياً آخر من تحمل مسؤولية الحب الذي يفترض أن يكون عن سابق تصميم و تصور. فتقول:

«حينما أتحدث عن الحب، أفكر بالشمس و الايجابية و المصارحة و المواجهة و العمل البناء» (المرجع السابق: ١٩٩٥ الف: ٨٧).

أما عن مفهوم الحب هذا في إبداع الكاتبة، فقد صورته عبر ابطال قصتها «الساعتان والغراب» و أكدت على ان الحب لا يسعد الإنسان إلا إذا استند الى أساس راسخ من الوحدة الروحية و الوطنية (المرجع السابق: ٢١٠).

و في «ليلة المليار» رسخت عن طريق شخصية «بحرية»، موقفها من الوطن، وحبها له، و حاولت أن تكشف أثر حب الوطن في معظم شخصيات الرواية. «بحرية» تلك الفتاة الرائعة الجمال، المثخنة بجراح نالته من الحرب الأهلية و الصهيونية على لبنان، جاء بها الثرى «رغيد الزهران» من بيروت الى مقر إقامته في جنيف مدعياً أنها قريبته، مستغلاً حضورها ليذيع نصيته، و شهرته الزائفة، ويتراءى أمام وسائل الاعلام الغربي. ألا ان «بحرية» هذه صارت محوراً أساسياً للرواية، هجس بها الأبطال، نساءً و رجالاً، و تحولت الى محرّك لأصالتهم، أيقظت انتماءهم لعذابات الوطن.

استطاعت «بحرية» أن تحرك في داخل «رغيد» مشاعر لم يألّفها من قبل، فنبضت فيه مشاعر الحب و الانتماء الى أسرة، لهذا لم يستطع ايداءها ثم أيقظت «بحرية» ألم «خليل» الداخلي فامتلاً حناناً جارفاً نحو «بحرية/الوطن» و رأى فيها عالماً مفتوحاً على الحقيقة، و تقيضاً لعالم زوجته المغلق على المتعة الشهوانية، فتوسع بذلك أفقه، و قوى انتمائه الى الوطن و أسهم ذلك في دفعه الى اتخاذ سبيل العودة نحو الوطن بأسرع وقت ممكن (حمود ٢٠٠٥: ٧١).

توقظ «بحرية» وعى «دنيا» ايضاً، فتفهم معنى الوطن المدّمى، عندما تراها في مقر «رغيد» تهبط الدرّج دامية، فتكشف «دنيا» آلية الفساد، حيث يشتري المال ضمير الناس (المرجع السابق: ٧٠)، و تستنكر صمت الاعلام و الصحفيين إزاء فتاة تغطي الدماء جسدها.

يعيد حب «بحرية» الساحر «وظفان» الى حقيقته الإنسانية، كما توقظ آلامها أحرزناً، كثيراً ما حاول طمسها، فيصرخ الماضي في داخله، و تصحو ذاكرته فينقلب رأساً على عقب (المرجع السابق: ٧٢ - ٧٣).

و تحرك «بحرية» في الشاب اللبناني «نسيم» خادم «رغيد الزهران» مشاعر الحب بأسمى معانيه، فيبذل العطاء لها، و يحنو عليها كما لو كانت طفلته أو أمه من دون أن ينتظر أى مقابل أو ثمن (المرجع السابق: ٧٣).

في مجاميعها الشعرية و مقطوعاتها الأدبية لاسيما في مجموعتها «الأبدية لحظة حب» تغنى غادة للوطن، و تعلن عن حبها لدمشق و بيروت، و ترى في هذا الحب سرّ صبرها و جلادها أمام المعاناة و التشرّد و الغربة (السمان ١٩٩٩: ٧٠):

«كيف كان بوسعى أن أحمل على صدرى، ثقل مئات الشوارع الموحشة لتي مررت بها، ومئات من حقائق السفر التي طالما هرولت بها تحت المطر، ومئات من الغرف المفروشة الكثيرة التي طالما أقمت فيها، ومئات من القطارات المغبرة المنتحبة على أكتاف السكك الحديدية ومئات القرى المجهولة النائية، ومئات الفنادق الرمادية في مدن أجهل لغة أهلها، ومئات النوافذ التي تهطل خلف زجاجها وجوه عدوانية وثلوج ومئات الحقول والمتاهات المغطاة بالضباب وأنا أبحث عن مطارات تقود الى مدن سراية الأفاق، ومئات الأرصفة المرتجفة في الزلزال... كيف كان بوسعى أن أطيق ذلك كله، لولم أكن أطبق بيدي على خارطة بلدي؟»

ب - الحب الحقيقي بين الجنسين

تتحدث غادة السمان عن علاقة المرأة بالرجل بجرأة وحرية، بعيدة عن الإباحية، وبصدق دون التورط في الإبتذال والسوقية... وتعتبر «الجنس و الحب» قضية إنسانية خطيرة ترتبط بمقومات شخصية تاريخية واجتماعية وفكرية ونفسية...

في رأى الكاتبة، علاقة «الجنس و الحب» الحقيقية أما يسميه العرفاء بـ «الحب الروحي» هي تلك العلاقة المتمسكة بالصدق، و الحنان المتبادل، والإعتراف بالتساوي، والبعد عن الأنانية و الجهل الحقيقي للحب؛ إذ الأنانية تحرم الجنسين السعادة اللازمة لعلاقة الحب فالأنانية (السمان ١٩٨١: ١٨١؛ عواد ١٩٨٩: ٨٠).

هذا الحب المصّر على خلع قفازات العقيد النفسية يبدأ متعة. ينمو ليصير وجوداً، ثم لا يضيع، بل يظل حياً في الأعماق، كما يظل ضوء النجوم راکضاً في الكون الشاسع دونما توقف (السمان ١٩٨١: ٣١٠).

ترى غادة أن الجنس يكمل الحب بين المرأة و الرجل، حيث تقول (المرجع السابق ١٩٩٥ الف: ٨١):

«الجنس هو اكتمال الحب، كما يكتمل البدر في منتصف الشهر. الحب هو الهلال كما نراه في أول الشهر، لكن ذلك لايعنى ان «الهلال» قمر ناقص، و إنما هو قمر ليس في أفضل «وضعية» للرؤية» (المرجع السابق).

و في موضع آخر تقول:

«الجنس: وعاء فارغ لا يمتلئ بغير الحب» (المرجع السابق ١٩٨١: ٣٢٣).

ليس «الحب والجنس» - في رأى غادة - عملية تواصل بين جسد وجسد - كما يظن البعض - بل هي نتيجة لموقف فكري، و عملية تواصل بين كيان و كيان (المرجع السابق ١٩٩٢: ١١٠).

العلاقة الجنسية - في رأى الكاتبة - رمز للإتحاد و التكامل بين الجنسين، و هو اللقاء الروحي و الفكري و الجسدي بينهما، إذا كانت علاقة إلتحام إنساني كلي يبدأ في الرأس، و غوص متبادل في الأعماق، و منطلقة من أرضية إنسانية مشتركة. و إذا كان الحب الجسدي على هذه الصورة - كما يقول و فيق غريزي و يؤكد العرفاء^٦ (غريزي ٢٠٠٠: ٢٥)، فإنه سيكون بمثابة الخطوة الأولى في سلم الرقي نحو المطلق.

جسدت غادة في الجنس وحدة الوجود، من خلال قصتها «الساعتان و الغراب» حيث تقول (السمان ٢٠٠٢: ١٣٥):

«إتحدت به فوق التراب و الأشواك و الحصى... لا.. بل أتحدت بجسد الأرض و بجسده معاً، كانا شيئاً واحداً يحيطني كشرنقة، و كنت واثقة من أن الأرض تحتي كانت ترتعش و تخفق كجسد حي و حار و ندي... و اننا في لحظة صرنا ثلاثتنا واحداً، هو و أنا و الأرض».

و في «لابحر في بيروت» تخاطب المرأة حبيبها قائلة (المرجع السابق ١٩٩٣: ٢٢):
«أنا لأدري من أنا، إني أتمزق. إني عذاب الماء. تعشق النار، يضمهما جسد و احد لماذا لم تخدرني بصوتك الليلية؟»

الحب الحقيقي الذي يقترن بالتحرق الى اللقاء، يحقق الطمأنينة، إنه الدرب الى الغاية، لا الغاية نفسها (المرجع السابق: ٧٤). إنه حقيقة أساسية جميلة، و مصدر قوة و طاقة، و تجسيد حي لسنن الطبيعة، و توثب الحياة. هذا ما تؤكد غادة السمان في قصتها «ليلي و الذئب» (المرجع السابق ١٩٩٥: ٩٥):

٦ - لمزيد من الاطلاع على آراء الصوفية و أهل العرفان في هذا الشأن، راجع كتاب «عشق صوفيانه» لجلال ستاري. سيمون دوبوفوار ايضاً في كتابها الجنس الآخر (٥٨٢/٢) تشير الى هذا الالتحام و التناغم التام بين الجنسين، و تؤكد أن تلاحم الجنسين و اتحادهما، هو غاية الحب الانساني، و الحب العرفاني.

«یافراس... یافراس، أين نبض عروقك؟ أريد أن أتحتسبها، أن أخرج

بملمس الحياة و توثبها.»

المرأة لإقامة علاقة حب حقيقية تحتاج الى رجل عيناه نجمتان، تمطران حناناً أخضر (المرجع السابق ١٩٩٣: ٢٢)، خارق العذوبة و الكبرياء، فيه نقاء. صحارى طهرتها الشمس طوال عصور من اللهب (المرجع السابق ١٩٩٢ الف: ٣٢) يكتشف الطيبة فى ذاتها (المرجع السابق ١٩٩١: ٣٠٧)، و يرافقها فى مجاهل عالم الإغتراب فيمنحها شعوراً بالأمن و الهوية (المرجع السابق ١٩٩٣: ٧٦)، و الرجل بذلك سيشكل الحقيقة الوحيدة فى حياتها (المرجع السابق: ١٠).

اما قصة «ارملة الفرح» فيبدو أن اطارها العام تأثر - الى حد بعيد - بسيمون دوبوفوار و ما اشارت اليه فى كتابها «الجنس الاخر»^٧ عن علاقة الحب بين الجنسين، و مدى الأثر الخالد، و الفاعل للرجل فى حبيبته؛ ففى هذه القصة، يؤثر «هانى» فى «نينار»، حين يلامس حبه قلبها، و يقلب عندها الرؤى و المفاهيم؛ فلم تعد - كما كانت - هادئة، مطيعة تمام الطاعة لعائلتها، ولم تعد تسمع بالأحلام و لاحتلم حين تنام:

«أواه. يا هانى، كيف استطعت أن تحوّلنى من شئ هادئ و هامد، و مستقر

كاستسلام مومياء لتابوتها، الى شريان مقطوع. ينبض نزفه على هامش

صفحة عمر ك.»

لم تتوقف «نينار» - بعد علاقتها بـ «هانى» - لحظة واحدة عن الحلم و رؤية الكوابيس. و اختلط لديها الواقع بالخيال. أحلامها رموز لحياة مختلفة تتمنى أن تعيشها رغم القهر الاجتماعى الذى تزداد سيطرته يوماً بعد يوم (المرجع السابق ٢٠٠٢: ٢٥).

أمّا المرأة فإنها بحنانها، و رقتها، و تسامحها، و صدقها، و كرامتها، و جرأتها و تحديها، و ثقافتها، و استقلالها الفكرى و إرادتها، و اتزان عقلها و عدم اتكائها السلبى على الرجل، و انعتاقها^٨ ستكون بصفاتهما هذه كلها حاضر الرجل و مستقبله، و ستتدفق عليه حناناً فى فقره و بؤسه، و تقربه من ذاته و جرحه (المرجع السابق ١٩٩١: ١٨٥)، و تنسيه مرارة الحياة و الغربة فلا يعد و جيداً داخل جلده مادامت المرأة تقيم تحته أيضاً (المرجع السابق

٧ - راجع المجلد الثانى: ٥٧٤ «الترجمة الفارسية.»

٨ - راجع الشخصيات النسائية فى قصص «أنياب رجل وحيد» و «لابحر فى بيروت.»

١٩٩٩: ١٠٦)، و تزيد من جرأته و طاقته على العمل و النجاح فيه (المرجع السابق ١٩٩٩: ١٨٤؛ ١٩٩٣: ٧٨).

في كل عصر يمكن للمرأة كشهزاد ألف ليلة و ليلة أن تجعل الرجل يكتشف ان له رأساً فوق كتفيه، و ان ملذات الرأس لا تقل سحراً عن ملذات ماتبقى (المرجع السابق ١٩٨١: ١٤٧). و تشارك في إحياء الرجل، و تخلف بجمالها فيه خفقاناً عقلياً، لا مجرد خفقان قلبي أوجسدي. (المرجع السابق: ١٢٧). الرجل في حبه الحقيقي بحاجة الى امرأة تفهمه و تتعاطف معه، «لا يريد منها الجلد، لا يريد اللحم، لا يريد التفاح و الدم، يريد أن يشم رائحة الحياة التي تفوح من مسامها حارة و ديدة كأنفاس طفل...» يريد أن يشم الفصول الأربعة في عنقها، يريد أن يشم الخلود» (المرجع السابق ١٩٩٣: ٣٦)؛ لذا لا يود الرجل أن تصاب بحبيته بالاسترخاء و الوداعة، و يستنكر عدم تعاطفها معه، و عدم مواساتها له فيما يعاني، فيخطبها قائلاً (المرجع السابق: ٣٩):

«يا امرأة رخوه كالهوام... يا لحماً بلانبض، بلاانفعال... لماذا يا ضحلة كالمستتعات لاتألمين؟ كيف لم يهرم وجهك في ثانية لما رأى زغب وجهي؟».

خصت عادة بعض إبداعها القصصي، و منها مجموعة «لابحر في بيروت»، و ما نظمته شعراً في دواوينها لتجسيد الحب الحقيقي بمفهومه العام و الخاص، و أكدت من خلال إبداعها هذا القضايا الآتية:

- ١ - الحب الذي تحكى عنه أساسه الخرية، وكردة فعل على كل كبت لحب المرأة العربية من ألف سنة، أرادت عادة في مؤلفاتها أن تحب عنهن جميعاً (باولادى ١٩٩٢: ٤٤).
- ٢ - تريد عادة من خلال كتابتها عن الحب أن تقول للجنسين ان الحب فعل مسؤولة واعية متبادلة. تغادر المرأة فيه دور «الضحية» الى دور «الشريك». ويخرج الرجل من تهمة «الذئب» ليتخذ مكانه الحقيقي؛ الرفيق (السمان ١٩٩٥ الف: ١٢٢؛ ١٩٩٢ ب: ٢٣١).
- ٣ - إعلان الحب هو إعلان الخروج من المرحلة السلبية الواقعة خارج رقعة المسؤولية. فمادامت المرأة خارج أرض القبول، أو الرفض، و تعيش على هامش «مزاج المذكور» فهي بالتالي داخل دائرة النواح، أو الانتظار، و خارج دائرة المسؤولية تنتظر الرجل كي يعلن الحب أو يهجرها، ثم يعود إليها إن شاء، أو يستبدلها بحبيبة أخرى.

أرادت غادة من خلال إبداعها أن تثور لتنتزع - كما تقول - المزيد من حق العطاء والمسؤولية، حق المرأة كى تكون هى القادم الى الحب، لاالمنتظر التقليدى، و حق المشاركة فى الحب، و تحمل المسؤولية الإنسانية، فتصبح بذلك هى الفاعل لا «المفعول به» غير المسؤول، «الشريك» لا «الدمية». الشريك فى إبتداع تمثال الحب و نحتة بمطرقتها، لابازميل الرجل وحده (المرجع السابق ١٩٩٢ب: ٢٣١).

٤ - الحب أعلنته غادة للرجل، و لعالم نسى الحب كأداة للتبديل، و تفرغ للفساد وللحرب و القتل و التخريب و التدمير (المرجع السابق: ٨٩)..

٥ - تقول الكاتبة انها أعلنت على الرجل و على العالم «الحب» لأنها رأت ان الحب مهدد فى عصرنا بخطرین: خطر عالمى أوروبى، سببه فقدان الإيمان بكل القيم الروحية بما فيها الله..والدين و الحب، و انتقال العدوى إلینا على طريقة الموضة.. و الخطر الثانى هو سوء التفاهم الواقع بين الفرد العربى الثورى و الحب، حيث يسود نوع من الوهم الخاطى بأن الأمرین متناقضان، بينما الحب ليس تقيضاً للثورة، وللحس بالمسؤولية، و ليس تقيضاً للجدية فى مواجهة قضايا الحياة (المرجع السابق ١٩٨١: ١٣٣ - ١٨٢).

الصنف الثانى: الحب المجازى

من مظاهر هذا الحب:

الف - حب التملك أو (مايطلق عليه العرفاء «الحب الطيبى»)

غادة - اسوة برواد النسوية ومنهم سيمون دوبوار^١ (دوبوفوار ١٣٨٠: ٥٤٨) تتحدث عن رغبة الرجل فى ضبط المرأة و تملكها، و ضمها اليه، و الى مايملك، أو بعبارة اخرى استلابها الكامل، جسدياً، فكرياً، نفسياً، و تعدد حبه و رغبته هذه حياً مجازياً غير ناضج، بينما «الحب الحقيقى» هو «رغبة صادقة فى ان يكون المحبوب سعيداً بالوسيلة التى يختارها هو لنفسه»

٩ - جدير بالذكر ان سيمون رمز من رموز الشخصيات النسائية، تأثرت بها غادة كما لاحظنا عند الحديث حول التلاحم بين الجنسين... و سنلاحظ ذلك لاحقاً ايضاً و قد أشارت غادة الى تأثرها بهذه الكاتبة الفرنسية بشفاية خلال حوارها مع باولادى كايوا «انظر كتاب التمرد والالتزام» (ص ١٠٣). تأثر غاده بسيمون ايضاً صار أساساً لدراسة نشرت لها نجلاء نسبي الاختيار تحت عنوان: «تحرر المرأة عبر اعمال غادة و سيمون دوبوفوار».

(المرجع السابق: ٣٣٥)، و تطلق الكاتبة على «حب التملك» تسمية «العشق»^{١٠} كما جاء في حوار «خليل» مع زوجته «كفى» في «ليلة المليار» (السمان ١٩٩١: ٨٢).

- أنا أرفض عشقك، وأشتهى حبك؟

- كيف أعشقب ولا أحبك؟

- الحب هو أن تفهمى جرحى، تتحسسيه بحنان... الحب هو أن تكونى صديقتى

أيضاً... العشق هو أن تحاولى إمتلاكى، حياً أو ميتاً... سعيداً أو تقيساً... لم

تحببى فى أى يوم... لقد عشقتنى عشقاً جارفاً... رغبت فى امتلاكى.

الحب المجازى هو حب الوصال فحسب، كما أشارت الى ذلك غادة فى حوار جرى

بين «أمير النبلى» و «نسيم» فى هذه الرواية، يقول «نسيم» (المرجع السابق: ٨٢):

«إننى أكثر من عاشق... أشتهى سلام» «بحرية» و لأشتهى وصالها».

فيردّ عليه «أمير النبلى» قائلاً:

«هذا يعنى أنك تحبها حياً حقيقياً».

الحب الحقيقى لا يقيد الحبيبة، فلايستلب حياتها كلها لتكون له كما أراد بطل قصة

«أنياب رجل وحيد» (المرجع السابق ١٩٩٣: ٣٥):

«أود لوأمتص من شفتيك حياتك كلها لتكون لى... أنا... أنا...».

و فى قصة «عجربة بلامرفاً» يخاطب «كمال» حبيبته قائلاً (المرجع السابق: ٨٠):

«إنى سعيد بك... لأستطيع أن أصدق أنك ستكونين لى بعد أيام...».

ستغنين لى وحدى بعد اليوم...».

تعلق الكاتبة على قول «كمال» بحوار باطنى أجرته البطلة الحبيبة مع نفسها قائلة:

«لم أقل له، اننى أيضاً لأستطيع أن أصدق... أحسست اننى دمية مقيدة

بخيوط لامرئية الى أصابع لاعب مجنون يحلو له أن يحركنا كما لانشاء،

يدفع بنا الى حيث لا نريد، ينتشل من دربنا الأشياء التى نعشق.»

١٠ - تبدو هذه التسمية جديدة والى حد بعيد غريبة على المعجم اللغوى؛ فالعشق عند العرفاء و اصحاب المعاجم: هو الافراط فى المحبة، وشدة الميل الى المحبوب. و لايستبعد أن تكون الكاتبة قد استوحيت هذه التسمية من التعريف التالى للعشق: «التفاف الحب على المحب حتى يخالط جميع اجزائه، و يشتمل عليه اشتمال نبات العشقة و العرّز» (ستارى ١٣١٠: ٤٣) (انظر فى هذا الشأن عشق صوفياته: ٤٣).

و فى قصة «لابحر فى بيروت» تشير البطلة الى ما يقوم به الرجل الحبيب من الإستلاب الفكرى لها قائلة (المرجع السابق: ١٤٤):

«إنه يعتقد أن لاحق لى إلّا برؤية ما يريد لى أن أراه...»

و بذلك يصبح الحبيب قيّداً و اقامه اجبارية، و طائر الاقفاص المقيم - كما تزعم غادة - بينما الحب الحقيقى هو الحرية. و الرحيل اللامتناهى و الطيران (المرجع السابق ١٩٩٢ الف: ١٤٩). و هو زعم جاء مؤيداً لما يطرحه رواد النسوية (دوبوفوار ١٣٨٠: ٦٠٢)، و يتعارض الى حد كبير مع ما وضعته الشريعة الاسلامية^{١١} - على اساس الفطرة الانسانية - من حدود معقولة و منطقية لحرية الجنسين و انطلاقهما.

الحبيب فى عملية قرصنة، يضعف روح الحبيبة، و يعزلها، و يجرها الى الجفاف، يدمر عملها و كيانها، ثم يرغمها على محاولة تكيف تلغى أصالتها، كما رسمت ذلك غادة فى أقصوصة «الديك» (غريزى ٢٠٠٠: ٤٢).

الحبيب كما تشير الى ذلك غادة فى «الأبدية لحظة حب»^{١٢} يحاول أن يدخل تعديلات على تضاريس المرأة الروحية، و يدخلها فى قوالب مزاجه؛ إذ انه يحب فيها امرأة أخرى، يريد أن يصنعها من موادها الأولية و عناصرها. يحاول أن يجعل منها أميرة فى قصره الثلجى رغم انها تفضّل أن تبقى صلوكية فى برارى خريتها (السمان ١٩٩٨: ١٥).

يتشبث الرجل أحياناً بالخداع و الكذب كى يمتلك المرأة، كما فعل بطل قصة «أنياب رجل ووحيد»؛ إذ كان يدعى الحب خداعاً فاستنكرت عليه الكاتبة فعلته هذه (المرجع السابق ١٩٩٣: ٥٢):

«رقاه... أحبك، أتمنى أن تظلى معى...»

«... لماذا يكذب؟ يعرف إنه لا يحبها... لكنه يحب أن يخدعها، يجب أن

تحبه، أن تتخلى عن خطيبها الشاب الرائع، من أجله هو الكهل الميت».

و للتوصل من حب التملك، ترفض الكاتبة «الوصال الكبير» و «الفراق الكبير» قائلة

(المرجع السابق ١٩٩٩: ١٠٧):

١١ - انظر فى هذا الشأن كتاب «نظام حقوق زن در اسلام» للاستاذ مرتضى المطهرى، و المجلد الاول من كتاب «زن و خانواده» لزهراء آيت اللهى.

١٢ - مقتطوعها «حوار مع رجل لا يحصى»، ص ٣٢.

«حبنا قوس قزح، قال للشمس

لا تشرقي كثيراً و إلا رحلت!

و لا تغيبى تماماً و إلا رحلت!

فأنا الحب الكبير،

يقتلنى الوصال الكبير و الفراق الكبير».

و على هذا الأساس ترى الكاتبة ان الحب الحقيقي بين الجنسين خطان متوازيان

لا يلتقيان و لا يفترقان (المرجع السابق ١٩٩٨: ٣٧):

«آه لا تذهب، لا تحضر

لا تقترب، لا تبعد

لا تهجرنى، لا تلتصق بى

لا تضيعنى، لا تؤطرنى...

و لنظر معاً

فى خطين متوازيين

لا يلتقيان

لكنهما أيضاً لا يفترقان!...

إنه الحب!...»

تطرفت غادة أيضاً - بحيادية تامة، بعيدة عن الانثوية - الى خصوصية المرأة فى حبها

لتملك الرجل، حسدها و انانيتها، أو ما سمّته - تسمية غير دقيقة^{١٢} - بالغيرة (المرجع

السابق ١٩٩٢ ب: ٨٠)، فجسّدت فى قصصها و رواياتها معاناة المرأة من أجل- تملك

الرجل. فمثلاً فى قصة «عجبرية بلا مرفأ» تقول الفتاة البطلّة مخاطبة حبيبها المتزوج، بعد

أن طلب منها أن ترحل معه (المرجع السابق ١٩٩٣: ٧٧):

١٢ - يرى الاستاذ المطهرى - على ضوء الاحاديث - ان حب المرأة لتملك الرجل و حرصها على ذلك تابع من الحسد و الانانية، و لا يعد من الغيرة فى شئ، بينما حب الرجل لتملكها ينبع من الحسد احياناً، و من الغيرة احياناً اخرى. و الغيرة الخالصة من الحسد دليل ايمان الرجل و عفته و آية حرصه على بقاء النسل و نقاء المجتمع و نزاهته. (المطهرى ١٣٨٣: ٤١).

«کم كانت الفكرة رائعة... لن تمزقني غيرتي بعد اليوم، و أنا أعرف ان زوجتك التي تغفو الى جانبيك طوال الليل تسرق من صدري أنفاسك... تمتصها من وسادتكما المشتركة، سوف تبقى معنا... و أنفاسك لن تكون لغيري... و صدرك مرفأى وحدي...»
وفى موضع آخر تقول (المرجع السابق: ٧٥):

«... أنت لى... سنتظر الى الوجوه كلها، ولن ترى أآ وجهى و ستضم اليك عشرات الأجساد، ولن تحس أآ بصلابة يدي فى يدك... أنت لى... بل كنت لى... لماذا أعذب نفسي...»

و فى رواية «ليلة المليار أيضاً تطرقت الكاتبة الى ما تتتاب المرأة من مشاعر الحسد، و تشير الى ما تقوم به من الممارسات القمعية فى حق بنات جنسها، من خلال الحوار الذى أجرته بين احدى الشخصيات النسائية «ندى» و زوجها الذى خافت عليه من سرقة الاخريات (المرجع السابق ١٩٩١: ٢٧٣).

«إنفجرت ندى تبكى: أريد العودة الى البيت. لقد ذهبت و اتصلت بها هاتفياً، عرف انك كلمتها...»

- انت يا ندى التي اقتحمت مركز عملها، و ضربتها و هشمته، و سببت لها فضيحة... و تريدن أآ أسأل عنها...

- و عدتني بأآ تجدتها بعد اليوم...

- و عدتک بذلك قبل أن تذهبي اليها فى مقر عملها و تضربها و تسببى فضيحة لها ولى...

- إنها تستحق ذلك... لماذا تسرق زوجى منى؟

- لم تسرقنى... إنا صديقان لا أكثر...».

و فى قصة «عجربة بلا مرفأ» أيضاً تصف الكاتبة فضاضة المرأة الغيور أو بالأحرى الحسود تجاه مثيلاتها، و هى تخاطب حبيبها المتزوج (المرجع السابق ١٩٩٣: ٧٧):

«... رأيتكم مساء تسيرون... أنت و زوجتك و أطفالك... و كنت أرقبكم

من بعيد... أسير وراءكم كالذئبة التي صممت على أن تختطف راعي

القطيع... و ببساطة تمنيت أن أمزق زوجتك... أن أفترسها... و لم أخف نفسي و راء قناع حنان مفتعل، أو رافة مصطنعة... إنني أمقتها...»
 أما المرأة فإنها لتملك الرجل و ضبطه، تلجأ إلى السحرة، و تتشبت بشعوذتهم، كما فعلت «دنيا» في «ليلة المليار» حيث لجأت إلى الساحر «وظفان» كي تربط زوجها «نديم» بسخره عن كل أنثى سواها (المرجع السابق ١٩٩١: ١٩٤).
 غادة تنكر على المرأة الحسود حماقتها وهي تمارس غيرها في حبيب يخونها فتقول (المرجع السابق ١٩٩٢ ألف: ٢٥):

ضبطت نفسي متلبسة بحبك

مثل لضة صغيرة،

تسرق رغييف حنان...

وسط موقد الحمى

رأيت جنوني بك يلتهب

و انتظاري لهيوت رياحك

لأينتهي

ضبطت نفسي متلبسة بالهذيان

أمام الأقمار الإصطناعية

و وهم حضورك...

بينما كنت أنت مشغولاً

بقطف رأس امرأة أخرى...

لم أشعر بالغيرة

بقدر ما وعيت عظمة حماقتي!

ب - الحب الجسدي و الجنسي أو «مايسمى بالحب البهيمي أو الطيني»:
 الجنس - كما تؤكد غادة دوماً - من وسائل الإلتقاء بين الرجل و المرأة إذا كان أساسه الحب و اللقاء الفكري و الإنصهار الروحي، و التناغم بين الطرفين، لكنه شبع في حالة

تحوله الى شهوة عابرة، أو لعبة و عادة، أو لحظة إثارة و نشوة فحسب (المرجع السابق ١٩٨١: ٣٣٣).

فى العلاقة المزيفة هذه، تتحول المرأة الى وثن يطوف بحوله الرجال بشهواتهم، و قبلة موقوتة مدمرة تحمله فى موضع قلبها كما وصفتها الكاتبة فى إحدى لقطاتها الرمزية. فى رواية «ليلة المليار» (المرجع السابق ١٩٩١: ٣٦٨).

المرأة فى علاقتها العاهرة هذه بالرجل تتحول الى تاجر اسلحة للأطراف كلها (المرجع السابق ١٩٩٢ ب: ٣٤٥)، أو مقاتلة تتسلح بشهواتها و غرائزها، ممارسة الحرية المطلقة كما يمارسها المسلحون فى القتل (المرجع السابق ١٩٩١: ٣٤٥).

تمارس المرأة على أساس هذه العلاقة فن الاستيلاء على الرجل و لانسيمى القوى والثرى؛ إذ شئ ما فى حضوره الجسدى، السلطوى يخترقها بنشوة السلطة... كأنها بامتلاكها له تمتلك بعضاً من قوته و تشاركه الإمساك بعضا السلطة المثيرة. (المرجع السابق: ١٧٥ - ٣٤٣).

المرأة فى حبها للجنس تصبح مشروع غانية وزانية و عاهرة، هشة، مزورة، لاصلاية روحية تدعما من الداخل، و لافكر، تصطاد الرجل بمفاتها و مكرها الغزلى للاحتيال والإيقاع به صريعاً لأحراك فيه، لاتقنع إلّا بأن يكون هذا الرجل مطية، أداة لتحقيق أحلامها و لذاتها. تمارس هذه المرأة الرذيلة بصدق حتى انها لا تلاحظ ما تفعله، ولا تزيدها الإطارات الاجتماعية الا تأججاً.

هذا التحرر الجنسى للمرأة الذى لا يرافقه تحرر فكرى و إجتماعى... قد يؤدى الى ضياع المرأة الرومانسى «الفكرى، النفسى، الاجتماعى...» ضياع عن التسامى و الرقى الروحى بعد أن تصاب بأزمة روحية كبيرة، و ستدفع المرأة نفسها ثمناً غالباً فى إنسانيتها وكرامتها و جسدها، كذاك الثمن الذى دفعته «ياسمينة» فى «بيروت ٧٥» حين جعلت جسدها معبراً لأحلامها، و اختارت أسهل الطرق لممارسة حريتها (غريزى ٢٠٠٠: ١٠٤).

أما الرجل - من خلال علاقته الجسدية، الجنسية بالمرأة - فإنه يحاول أن يحول المرأة الى دمية يتلاعب بها كيفما شاء يجعلها غير واعية، عمياء عن حقيقة كينونتها الإنسانية، فيخدعها بالقشور اللامعة كما أشارت الكاتبة الى ذلك فى قصة «لعنة اللحم الأسمر» (السمان ١٩٩٣: ٢٢):

«لما اقترب منى ذلك الأبله، قلت له: إني أبحث عن رجل عيناه نجمتان.
دعنى.

قال: تعالى... أنا، أنا أبدو نجوم المدينة. و كان له متجر كبير و رائع، فى
زاويته قالب حلو لامرأة.

قال: انصهرى فانصهرت. قال: انسكى فانسكبت. قال: كونى فكنت، و إذ
بى دمية من زجاج شفاف، و انطلقت فى المتجر، و كان مملوءاً بالدمى
الحلوة مثلى، لكنهن كن سعيدات فى المتجر يقضين النهار فى طلاء
وجوههن، و. إلصاق الشعر المستعار برؤوسهن. و وجدت انه كان قد اقتلع
عيونهن و استبدل بها ماسات و جواهر.»

لايفكر الرجل هذا إلا من خلال أعضائه السفلية، و هو عبد لنزواته و شهواته و لا يرى
فى المرأة سوى مفاتن جسدها (المرجع السابق):

«قال لى: اقتربى، أحب لحمك الأسمر.

صرخت: دعنى... هناك أشياء كثيرة هى أنا.

قال متعجباً: كم هو وزنك لأعرف من أنت؟

و هربت من المتجر، هربت أحمل لعنة اللحم الأسمرة و لما التقيت بالرجل
الآخر، و قال لى: أحبك، أحسستنى أميرة الندى، و لما غمزت فى خضرة
عينيه ظلال حمى أعرفها، صرخت... سوف أكرهك حين تلمسنى، و سوف
أتلذذ طويلاً بعداى، لأنى كرهتك.»

الرجل الثرى فى علاقته بالمرأة يستغلها لتكون ديكوراً حلواً لعالم أعماله (المرجع
السابق ١٩٩١: ٢٣٧ - ٣٥٥)، و مضيعة جميلة ضرورية فى دنيا تجارته لنيل المليارات
(المرجع السابق: ٢٩٧). و بذلك هى ليست محور حياته، بل دمية هامشية، لا يهدى إليها
معاطف الفراء حقاً، بل يهدى نفسه، و لصورته الإجتماعية كرمز لقوته الشرائية، و هى
تتولى حمله على كتفها... و كل العطاء هذا لا يهدف حقاً إمتاع المرأة، و إنما جوهره
استعراض القوة على البذخ و مباهاة الرجل بذلك (المرجع السابق ١٩٩١: ٣٢١).

المرأة فى عالم هذا الرجل جزء من اللعبة، و ساحة من ساحات إثبات الفحولة الذكورية،
و فحولة المال و الوجاهة (المرجع السابق: ٢٤٤)، يرى فى جسدها ساحة حرب لأكثر،

يخوض فيها معركته، و يفرس آياته، و يسجل بذلك على خصومه المنافسين نصراً بعد هزيمتهم. كما كانت عادة «رغيد» بطل رواية «ليلة المليار» مع رجال الأعمال و مناهضيه. منحت غاده لموضوع الحب الجسدي، -الجنسي في قصصها حيزاً يستحقه بلامبالغة ولا تجاهل (السمان ١٩٩٢ ب: ١١٠)، ولم توظف «الجنس» للإثارة و الانفلات الجنسي، ولم تكتب «الجنس» لذاته؛ لذا لا يمكن ان يصنف ابداعها في خانة الاثارة رغم ما فيه من المشاهد الجنسية؛ فالجنس عندها رمز لما هو أكبر من حجم الجسد (باولادي ١٩٩٢: ٧٩).

و في كتاباتها عن العلاقة الجنسية، أكدت غادة على ضوء قناعاتها الفكرية و آرائها في النسوية^{١٤}، و من خلال تجاربها في العالم العربي و الغربي على ما يأتي:

١ - التحرر الجنسي يجب أن يكون جزءاً من تحرر الإنسان العربي الإقتصادي والفكري و السياسي. أما إذا نودي بالحرية الجنسية وحدها من دون ذلك كله، فسيحول المجتمع الى مجتمع مصاب بالخلل لأنه لا يمكن إعتاق طاقه إنسانية دون أخرى. وبذلك، الكبت الجنسي يشابه تماماً الانفلات الجنسي المائع كما تمارسه المجتمعات الاستهلاكية مادام هو كالكبت يهدر طاقات الفرد (السمان ١٩٩٢ ب: ٨٥).

٢ - تطرح غادة في قصصها قضية «التحرر الجنسي» أو ما أطلقت عليه «الثورة الجنسية الشاملة» على ضوء المصطلح النسوي^{١٥} و تشير الى ما يحتاج اليه الثوري من مستلزمات هذه الثورة كالجرأة و التحدي و حرية الإختيار و المسؤولية، و التناغم مع الفطرة الإنسانية (المرجع السابق ١٩٩٣: ١٥٤ - ١٥٦).

٣ - ترفض غادة طرح قضية «التحرر الجنسي» بمعزل عن قضية تحرر الإنسان على كل الأصعدة، تحرره من الإستلاب القائم على فكره و جسده و أرضه و ذاكرته المستقبلية و تطلعاته. تؤكد الكاتبة القتال على الجبهات كلها، لاجبهة الجسد فحسب، ضمن التركيز على الوعي و الصحو (المرجع السابق ١٩٩٢ ب: ٨٥).

١٤ - لمزيد من الاطلاع راجع بحثنا المقدم الى مركز دراسات المرأة بجامعة الزهراء تحت عنوان «غادة السمان، المبدعة العالمية و قطبايا المرأة».

١٥ - «الثورة الجنسية» (Sexual Revolution) مصطلح شاع انتشاره بين رواد النسوية عام ١٩٦٠م. لمزيد من الاطلاع راجع «فرهنك نظريه هاى فمنيستى» مگلى هام و سارا كميل. ترجمه فيروزه مهاجر و اخريات.

«قبل أن نتطلع إلى خلع ثيابنا، علينا أن نرتدى تاريخنا ووعينا ليكون تحرير الجسد صحواً لا غيبوبة، و فعل ثورة لافعل خلاعة».

٤ - في بعض ابداعها القصصى قبل هزيمة حزيران ١٩٦٧ تأثرت الادبية الى حدّما بالفكر الوجودى، فانتقدت على ضوئه التقاليد التي اعتبرتها زائفة في المجتمع نقداً لا دعاً دعت من خلاله أحياناً الى الغاء الأفكار و التقاليد الشرقية^{١٦}. اما في ابداعها بعد الهزيمة - على سبيل المثال في زواية «ليلة المليار» «١٩٩١» - فانها لاتصر على الالغاء الكامل للتقاليد، بل تبدي اعجاباً بالامهات الشرقيات المحصنات اللواتى لم تفسد انوثتهن هشاشة الحضارة الحديثة..

تقول «ليلى السبوك» في «ليلة.المليار»، و هي تقترب من قبر أمها اللبناية الأصلية الملتزمة بالتقاليد الشرقية: (المرجع السابق ١٩٩١: ٣٤٢):

«لم أزرها بعد... ولن... الوقوف أمام قبرها يجعلنى أعى هشاشتى.. كانت ماما مجصنة بعالمها، ولم يكن داخلها مشروخاً، كانت تنتمى بكليتها الى هناك».

و في «صفارة إنذار داخل رأسى» تؤكد غادة على احترام القيم و تقديس العلاقات بين المرأة و الرجل بقولها^{١٧}:

«هناك صفة أحب أن تظل في الرجل الشرقى، و في المرأة الشرقية، و في مجتمعنا، أو «بالأحرى أتمنى لو توجد» إنها احترام القيم و تقديس العلاقات بين الرجل و المرأة، و الارتقاء بها عن المستوى البهيمى الذى و صلت اليه في الغرب، و المحافظة على الكبرياء و الإنسانية في لقاء رجل بامرأة؛ ليظل هذا

١٦ - راجع مجموعاتها القصصية الاولى، و اقرأ قصة «نداء السفينة» ولاحظ كيف ثارت البطة - متأثرة بالوجودية - على مكوناتها الثقافية القديمة، و ما اكتسبته من الافكار و التقاليد من خلال قراءتها في كتب الادباء «دانتى و زولا و فوليتير...» لتصل الى حقيقة واحدة هي الجنس، أو الرجل المحب، المحبوب. ولاحظ في قصة «أنياب رجل وحيد» كيف يحول البطل «بسام» مكتبته العريقة الى غرفة نوم ليضاجع فيها مومساً على أعين المؤلفين و الفلاسفة بعد أن يثور متمرداً على كل ما طالع و قرأ في هذه المكتبة من الأفكار التي زعم أنها بالية عتيقة. و في موضع آخر من هذه الفضة يطلب بسام - و هو استاذ جامعى - من خادمتها أن تجهز الحمام و تحرق كتبه في موقده، كتاباً كتاباً ليتحمم بأفكار الفلاسفة المتوارثة، و ما طرحه العلماء القدامى من آراء لم تعد بالنفع على المجتمع الشرقى الذى عجز عن أن ينسج خيطاً واحداً يشده حقاً الى المرأة و الجنس!

١٧ - انظر صفحة ٢٧٣ من هذا الكتاب.

اللقاء ذروة في العطاء النفسى و العاطفى، و ارتباطاً و مسؤولية، لامجرد لقاء

جرأء فى عتمة شارع يمضى بعدها كل فى طريقه كأن شيئاً لم يكن...».

و فى موضع آخر: تشير عادة الى معاناتها مما لاحظته بالغرب من تجارب خائبة فى

«الجنس»، و تشدد على التمسك بالقيم الشرقية النبيلة قائلة:

«أنا من المتشددین حرصاً على شئ اسمه القيم... و أنا بعد الخيبة التى

احسست بها فى اوروا حينما رأيت كيف تلتقى المرأة بالرجل، و كيف

صار الجنس شيئاً قائماً بذاته، يمارس لذاته لاجزءاً من عاطفة كبيرة، و حياة

مشتركة شاملة، بعد هذه الخيبة و جدتنى اتطلع الى بلادنا العربية التى لم

يتفش فيها طاعون الاستهتار بالانسان فى ذات المرأة و الرجل... و جدتنى

اتمنى أن تنبت من بلادى شمس اخلاقية جديدة نيشر بها فى العالم أجمع،

جذورها من شهامة العربى و حرصه الغريزى على القيم، و نسفها من تفكير

حديث بعيد عن صحارى مازالت تن تحت رمالها فتيات مؤذات».

٥- تبدو المرأة فى إبداع غادة - على سبيل المثال، البطلة «سنية» فى «نداء السفينة»

و شخصية «كفى» فى «ليلة المليار»، أكثر حماسة من الرجل فى التمرد على التقاليد،

والخروج عليها و تمزيق الأربطة الثقافية. و بحيادية تامة، تركز الكاتبة على دور المرأة

السلبى فى توريث الرجل فى الضياع الجنسى و اندفاعه نحو الشراسة الجنسية... و ترى

غادة ان المرأة فى النهاية ستكون هى المتضرر الأسمى كما أشرنا سابقاً.

النتيجة

من خلال ما قام به البحث من الاستقراء فى كتابات غادة، و ما ألف عن الادبية من

الدراسات، و من خلال منهجية مقالنا يمكن استنتاج ما ياتى:

- و ظفت الأدبية مقابلاتها الصحفية، و ابداعها الشعرى؛ لتطرح نظرتها الايجابية حول

«الحب الانسانى» بالمفهوم الشامل. أما نظرتها فى علاقة الجنسين «الحقيقية و المجازية»

فقد خصصت لها حيزاً معقولاً من ابداعها القصصى و الشعرى، و بعض مقابلاتها الصحفية

دون أن تهدف الى الإثارة الجنسية، أو الإنفلات الغريزى فى كثير من الاحيان، بل حاولت

أن تجعل هذه العلاقة رمزاً للاتحاد و التلاحم، و رمزاً للوطن...

- انفردت غادة في بحثها عن «الحب و الجنس» بطريقة خاصة وضعتها على أساس قناعاتها الخاصة، تختلف عن المنظور العرفاني الشرقي و مناهجه و مصطلحاته، فخصصت «للحب الروحي» بالمفهوم العرفاني و «الطبيعي» و «البهيمي» دون «الحب الالهي» مساحة شاسعة في كتاباتها غير أن ما طرحته - بعمق و نفاذ بصيرة - في «الحب الانساني الشامل» يمكن أن يرتقى بالمتلقى نحو «الحب الالهي» الذي لم تسلط عليه الادبية الأضواء - بكثافة - و اكتفت بإشارات عابرة اليه.

- وضعت غادة اسساً لثورة جنسية شاملة على ضوء قناعاتها الفكرية و آرائها في النسوية و تجاربها في الغرب.

- تبدو غادة أحياناً متأثرة بسيمون دوبوفوار في تناولها لعلاقة الانجذاب الحقيقية والمجازية بين الجنسين، وتبدو أحياناً أخرى متأثرة بالوجودية، و هي تدعو في إبداعها القصصي قبل السبعينات الى الغاء بعض التقاليد الزائفة، و المكونات الثقافية البالية - حسب رأيها -

- تحدّثت غادة - بحيادية تامة - عن الجنسين، و ما يزيّف علاقتهما، و رأت أن ترسيخ العلاقات المثالية بينهما لا يتم الا بالاستناد الى رجل مثالي يشكّل الحقيقة الوحيدة في حياة المرأة، و امرأة مثالية تشكّل له الحاضر و المستقبل.

المصادر و المراجع

- آذرشب، محمدعلي. ١٣٨٣. نهج العاشقين. طهران: مؤسسة الهدى للنشر و التوزيع.
- حمود، ماجدة. ٢٠٠٥. جماليات المغامرة الروائية لدى غادة السمان. الطبعة الاولى. بيروت: دارالطليعة.
- دوبوفوار، سيمون. ١٣٨٠. الجنس الاخر. الطبعة الخامسة. ترجمه قاسم صنعوى. طهران: توس للنشر.
- ستارى، جلال. ١٣١٠. عشق صوفيانه. الطبعة الاولى. طهران: المركز للنشر.
- السمان، غادة. ١٩٨٠. صفارة انذار داخل رأسى. الطبعة الاولى. بيروت: منشورات غادة السمان.

- _____ ۱۹۸۱. القبيلة تستجوب القتيلة. الطبعة الاولى. بيروت: منشورات غادة السمان.
- _____ ۱۹۹۱. ليلة المليار. الطبعة الثانية. بيروت: منشورات غادة السمان.
- _____ ۱۹۹۲ الف. اشهد عكس الريح. الطبعة الثانية. بيروت: منشورات غادة السمان.
- _____ ۱۹۹۲ ب. البحر يحاكم سمكة. الطبعة الثانية. بيروت: منشورات غادة السمان.
- _____ ۱۹۹۳. لاجر في بيروت. الطبعة التاسعة. بيروت: منشورات غادة السمان.
- _____ ۱۹۹۵ الف: تسكع داخل جرح. الطبعة الثانية. بيروت: منشورات غادة السمان.
- _____ ۱۹۹۵ ب. ليل الغراء. الطبعة التاسعة. بيروت: منشورات غادة السمان.
- _____ ۱۹۹۸. الحب من الوريد الى الوريد. الطبعة الخامسة. بيروت: منشورات غادة السمان.
- _____ ۱۹۹۹. الابدية لحظة حب. الطبعة الاولى. بيروت: منشورات غادة السمان.
- _____ ۲۰۰۲. رحيل المرافى القديمة. الطبعة الثامنة. بيروت: منشورات غادة السمان.
- عواد، حنان. ۱۹۸۹. قضايا عربية في أدب غادة السمان. الطبعة الاولى. بيروت: دارالطليعة.
- غريزي، وفيق. ۲۰۰۰. الجنس في أدب غادة السمان. الطبعة الثانية. بيروت: دارالطليعة.
- كابوا، باولادى. ۱۹۹۲. التمرد و الالتزام في أدب غادة السمان. الطبعة الاولى. ترجمه نورا السمان. بيروت: دار الطليعة.
- المطهرى، مرتضى. ۱۳۸۳. مجموعة آثار. الطبعة الرابعة. مجلد ۱۹. طهران: صدرا للنشر.
- هام، مگى و كمبل، سارا. ۱۳۸۲. فرهنگ نظريه‌هاى فمينيستى. ترجمه فيروزه مهاجر و اخريات. تهران: نشر توسعه.